أبو الطيب المتنبي
شاعر الأدب القوى

بمناسبة ذكراه الألفية

مهداة إلى الأستاذ الكبير أحمد أمين

بقلم السيد كامل حريرى

فى مثل هذا اليوم منذ ألف سنة خلت ، فقدت آلهة الشعر والبيان رسولها الأمين ونبيها العظيم أبا الطيب أحمد المتنبى ، بعد إذ أدى رسالتها ونشر دعوتها أربعين عاماً لا تأخذه كلالة ولا تتكاءده ملالة ، وأنبياء البيان كأنبياء الأديان شديد عنتهم كثير اضطهادهم صعبة دعوتهم ، وهم مع ذاكرى رسالتهم فى بلاء وجهد ما أنزلت عليهم آلهة الشعر رائع آياتها وخالد أبياتها ، وما بى عرض رسالة المتنبى وما كان يلقى بسببها من كفر البقرية وجحود الفضل ونكران العظمة ، فكل أحس ذلك فى شعر شوقى ورسالته ، وإن ما أخذت نفسى به هو ذكر أبى الطيب الفيلسوف المهذب ، « كورنى » العرب فى القرن الرابع ؛ وأنا إذ أقول هذا لا أقصد إلى قول الفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى : « إنما أبو تمام وأبو الطيب حكيمان والشاعر البحترى » بل أعنى ناحية خطيرة فى شعر المتنبى هى وحدها سر خلوده وعظمته وبقاء شعره على الزمن

وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مرددا وغنى به من لا يغنى مغردا

ولكن هذا يقتضينى ذكر القرن الرابع الهجرى ، وقد تهاوى بناء الدولة العباسية ، ورثت حبل العروبة ، وفشت فاشية ملوك الطوائف فى البلاد العربية الاسلامية ؛ فآل بويه وبنو حمدان فى العراق وفارس والشام ، ودولة الأخشيديين وبنو رائق فى مصر وفلسطين يتواثب بعض على بعض ، وإن الفساد والرذيلة لسوقاً رائجة ، وإن الخيانة والنفاق لبضاعة نافقة ؛ أما عن الأخلاق الواهية والعزائم الواهية والمروءات الساقطة فحدث ولا إثم

فدهرى ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام

ذلكم القرن الرابع الذى ولد فيه نفر الشعراء أبو الطيب المتنبى قد عرضته عليك بعجره وبجره وخيره وشره . لأن لمصر أثراً بيناً فيما ينظم الشاعر ويكتب الأديب ، وهو عصر ما أخلقه بشاعر كالمتنبى ينشر بين أهله الضعفاء فرقان القوة ورسالة المجد والمثل الأعلى

وكما ابتعث « جوبيتير » آلهة الحرب والقوة نيتشه فيلسوفا يوقظ بأنجيله هم الألمان الراقدة وعزائمهم الهامدة ويلقنهم آيات تنازع البقاء وبقاء القوى الغالب ، ابتعث المتنبى قبله بثمانية عصور الى الأمم الأسلامية يقول :

قالوت أعذر لى والصبر أجمل بى والبرء أوسع والدنيا لمن غلبا

تطاول العهد بالجاهلية الأولى ، فنسى الشعراء نغمة التفاخر بالعديد ، والتكاثر بالوليد ، والاعتداد بالقوة ، والاعتزاز بالمنعة ، والتفاضل بمنع الجار وحفظ العشيرة ، فأصبحوا وقد رقت حاشية الحياة ، ولانت أعطاف العيش ، تشوقهم اللذة ، ويروقهم الترف ، ويستعبدهم الهوى ، وتتصايح الطريقة النواسية ، فما منهم إلا عاشق مفتون ، وقيس بليلاه مجنون ، وما فيهم إلا نضر رود ثقيل ، وخصر نحيل ، وطرف سقيم ، وثغر نظيم ؛ ومن لا يحب الخصور والنحور والفواحظ والثغور إذا كن مما يشتهى ويستملح !

طغى سيل الأدب اللين بنوعيه الشعر والنثر على الحياة الاسلامية العربية فى القرن الثالث والرابع حتى ماعت الأخلاق الصلبة البدوية ، وذابت الرجولة القاسية الجاهلية ، وتفككت الفضائل من رابطتها الوثيقة ، وتحللت الأخلاق من أزمتها المتينة ، وسرى داء الضعف والتخنث فى نفوس الشيوخ والشبان بله الكواعب والغلمان . فكان من ذلك جيل مترف متنعم ، مسخت الحضارة رجولته ، وألان الترف شكيمته ، وأماتت النعمة طموحه . فما تتراق إلى مجد له همة ، ولا تتسامى إلى مثل أعلى له عزمة ، وما جنى على هذا الجيل ما جنى إلا شعراؤه الخليعون الماجنون وفى طليعتهم بشار وأبو نواس . فان من يقول :

ولو أن مالى يستقل بذنى
لأنسيت أهل الهوكسرى وقيصرا

لا يبشر إلا بجيل خائر
ضعيف كهذا الجيل الذى ولد
فيه المتنبي . ومالنا لا نقول فى
صراحة وصدق ، إن الأدب
القوى فى غير عنف ، الشديد فى
غير عسف ، ظل يتيما بعد الفرزدق
وجرير حتى جاء أبو الطيب
فرأب الصدع ، وسدّ الثأى
وحمل الراية ؛ ثم فتح للشعراء
طرائق الخلد ، وسنّ لهم سنن
المجد ؟

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الرجال وأن ترى
لك الهيوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تدوال سمع المرء أنمله العشر

أنا لا أريد لهذا النشء
المتفكك من شبابنا « الشيك »
أن يقحم نفسه الحرب ،
ويحملها الطعن والضرب ،
كى ينشأ شجاع النفس شديد
البطش منيع الجانب عظيم
الرجولة ، ولكنى أنصحه بقراءة
ديوان المتنبي شاعر القوة والبطش
والرجولة الحق ، وأنا زعيم له بعد
ذلك بما يتطلبه من رجولة وإقدام
ولو أن الحياة تبقى لحر
لعددنا أضلنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز أن تموت جبانا

أما أنتم أيها الذين أضلّهم
المجد وقعدت بهم الهمة عن
طلب العلا ، فاستوطأوا مهاد
الضمة ، وأساغوا صاب الذل ،
ورضوا بخطة الخسف ، فاليكم
أتوجه ببيتى شاعر المجد والعظمة
إذا غامرت فى شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم

وبعد : فان فى ديوان
المتنبي جبهة حربية تعلم شبابنا
الشجاعة والقتال ، ومدرسة
اسبارطية تنشئ أطفالنا على
احتمال الشدائد والأهوال ، وجامعة
فلسفية توحى إلى رجالنا جلائل
الأعمال . فلنمجد شاعر الأدب
القوى الذي يدعو إليه نيتشه فى
عصره ، والأستاذ احمد أمين فى
عصرنا ، والذى توجبه حالنا
الاجتماعية والخلقية ، وتفرضه
سنة البقاء على الناس

وليحسن قراء « الرسالة »
منى رؤوسهم خشوعاً وإجلالاً
لنبي الشعر ، وفارس الفكر ،
وملء أذن الدهر ، وعبقرى
لو تقدم به الزمن فى عهد الاغريق
لخلده هومير مع الأبطال وسما به
إلى سماء الآلهة ! ولا عجب
وأبو الطيب القائل عن نفسه :
وقت يضيع وعمر ليت مدته
فى غير أمته من سالف الأمم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم

(حلب) كمال عريدى

الاشتراك المجانى فى الرسالة
لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

م
٥٠ فى مصر والسودان
٤٠ لطلاب العلم ولرجال التعليم الالزامى
٦٠ فى البلاد العربية بالبريد العادى
٥٠ لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دُفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثانية أو مجموعة من السنة الثالثة ؛ وثمن كل منهما ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٣) إذا دُفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام فرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للاستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى ؛ مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، قصص اجتماعية ، للأستاذ عنان

وأجرة البريد على المشترك وقدرها عشرة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش ولا تعطى الهدية إلا مع القسط الأخير